

دلائل الإعجاز

فصل في تحليل شاهد مُتَميز للحذف عند البحري .

قد بان الآن واتَّضح لمن نظَرَ نظر المتنبِّتِ الحَـصيفِ الراغبِ في اقتداحِ زنادِ العقل والازديادِ من الفضلِ ومَن شأنُهُ التَّـوقُّ إلى أن يعرفَ الأشياءَ على حَقائِقها ويتغلغلَ إلى دقائقها ويَرى بنفسه عن مرتبةِ المقلِّدِ الذي يَـجـري معَ الظاهرِ . ولا يَـعـُدو الذي يَـقـعُ في أولِ الخاطر أنَّ الذي قُلتُ في شأنِ الحذفِ وفي تفخيمِ أمرِهِ والتَّـنـويهِ بذكرِهِ وأن مأخذَهُ مأخذُ السَّـحرِ ويَهـرُ الفِـكـرُ كالذي قُلتُ : وهذا فَنٌّ آخِرُ من معانيهِ عجيبُ وأنا ذاكرُهُ لك : قال البحري في قصيدته التي أولها - الطويل - :

(أَعن سَفَهَ يومَ الأَبـيـرِقِ أم حُلـمٍ ...) .

وهو يذكر حمامة الممدوحِ عليه وصيانتَهُ له ودفعه نوائب الزمان عنه :

(وَكَمْ ذُودَتَ عَنِّي مَن تَحامُلُ حادِثٍ ... وَسَوْرَةَ أَيَّامٍ حَزَزَنَ إلى العَظَمِ) .

الأصلُ لا محالة : حَزَنَ اللحمَ إلى العظمِ إلاَّ أنَّ في مجيئه به محذوفاً وإسقاطه له مِن النَّطْقِ وتركه في الضَّميرِ مزيةً عجيبَةً وفائدةً جليلةً . وذاك أن من حَذَقَ الشاعرِ أن يوقعَ المعنى في نفس السَّامعِ إيقاعاً يمنعُه به من أن يَتَوَهَّـمَ في بدءِ الأمرِ شيئاً غيرَ المُرادِ ثم يندُـصـرفُ إلى المرادِ . ومعلومُ أنه لو أظهرَ المفعولَ فقال وسورةُ أَيَّامٍ حَزَنَ اللحمَ إلى العظمِ